التباين الدلالي للآيات المتشابهة

في القرآن الكريم

أ.م.د. رعد نعمة راضي

جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين ,وبعد :

فإن المتأمّل لآيات القرآن الكريم يقف عند آيات متشابهة في اللفظ ولكنها مختلفة في كلمة أو أكثر من جهة التقديم والتأخير أو الذكر والحذف ، أو الأفراد والتثنية والجمع ، أو من جهة استعمال الاسم في موضع واستعمال الفعل في موضع آخر ، وغير هذا مما تشابه او تقارب معناه واختلف وتنوع لفظه ٠

ولنا أن نتساءل عن سبب هذا التباين ، لماذا جاءت هذه الآية بهذه الصيغة والآية المتشابهة لها بالصيغة الاخرى ، إذ لابد أن يكون هناك سبب .

وقد وجدنا أنفسنا مشدودين إلى تتبع هذه الظاهرة والبحث عنها في الكتب التي تتناول أسرار التعبير القرآني ولطائفه وعلله هذا العلم الذي يقوم في منهجه على اعتماد الحس اللغوي واستقراء مدلولات الألفاظ في القرآن الكريم ، ومن ثم الاحتكام إلى المقام والمناسبة وغير ذلك من القرائن التي تعين على فهم النص ٠

وقد ارتأينا لهذه الدراسة خطة قوامها المقدمة و مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة تتقاسم في مجموعها مكوّنات هذا البحث وعلى وفق الترتيب الاتي :

مقدمة البحث ويناط بها تبيان دوافع البحث وتحديد خطته

ومدخل البحث ويعنى بتعريف التباين الدلالي وتحديد مفهومه ، أمّا المباحث وهي المحاور الاساسية للدراسة فقد خصّص الأول منها لدراسة التباين الدلالي في الآيات المتشابهة على مستوى المفردة ، و المبحث الثاني بسطنا الكلام فيه على التباين الدلالي في الآيات المتشابهة على مستوى التركيب ٠

وفي المبحث الثالث تناولنا أسباب ودواعي التباين الدلالي في الآيات المتشابهة ،وختمنا البحث بخاتمة لخصّنا فيها أهم النتائج التي توصّلنا إليها ٠

إعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع القديم منها والحديث ،فمن القديم (الفروق اللغوية) لابي هلال العسكري و(مفردات الفاظ القرآن) للراغب الاصفهاني و(أسرار التكرارفي القرآن) للكرماني و (درّة التنزيل وغرّة التأويل)للخطيب الاسكافي و(ملاك التأويل) للغرناطي .

ومن الحديث (التعبير القرآني ،و لمسات بيانية ، ومن أسرار البيان القرآني) لفاضل السامرائي و(التفسير البياني) لبنت الشاطئ و(من بلاغة القرآن) لاحمد بدوي و (لغة القرآن) لأحمد مختار عمر وغيرها من الكتب فضلا عن مجموعة من التفاسير المختلفة وكتب علوم القرآن مما هو مثبت في قائمة المصادر والمراجع

وبعد: فإننا نقر ونعترف أننا لم نوف هذا الموضوع حقه من الدراسة ،ولكن نرجو أن نكون قد أوفيناه بعض حقه ،ولا يخلو عمل ابن آدم من الخطأ والزلل ، فما كان في هذا البحث من صواب فهو من فضل الله تعالى وله الحمد أولاً وآخراً ، وما كان فيه من خطأ ونسيان وغير ذلك فمن أنفسنا ، ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا أجر المجتهدين .

المدخل :

التباين الدلالي مفهومه ومصطلحه :

من المعلوم أنّ من مقتضيات البحث – أي بحث- الوقوف على ماهيّة الموضوع ، لأن ذلك يهدي الباحث الى اقتفاء الخطوات الصحيحة في مسار بحثه ،ومعرفة ماهيّة الشيء تتوقف على استعماله في اللغة والاصطلاح ٠

التباين في اللغة والاصطلاح :

لا يخرج (التباين)في اللغة عن معنى البعد بين شيئين أو التمييز بينهما ، جاء في معجم مقاييس اللغة:(بون : الباء والواو والنون أصل واحد ، وهو البعد قال الخليل : يقال بينهما بون بعيد ، وبُون على وزن حُور وحور وبين : البعيد أيضاً ، أي فرق))[١]

والتباين هو مصدر من باب التفاعل الدال على المشاركة وهو مشتق من (بين) بمعنى (بعد وانفصل) : ((تقول : تباين القوم : أي تهاجروا وتباعدوا ،وتباين الرجلان : بان كل واحد منهما عن صاحبه ، كذلك في الشركة إذا انفصلا ، وبانت المرأة عن الرجل فهي بائن))[٢]

وفي المعجم الوسيط : ((تباين الأمران تغايرا واختلفا ، يقال اتفقت الكلماتان في اللفظ وتباينتا في المعنى ،ويقال : تباين الصديقان : اقترفا ، وتهاجرا ، وتقاطعا ، وسار كل منهما في اتجاه مستقل ٠٠٠ والتباين : مصدر تباين ، يقال بينهما تباين في الرأي : اختلاف أي كل واحد له رأي مخالف))[٣]

أمّا في الاصطلاح : فقد عرّفه الجرجاني بقوله : ((التباين ما إذا نسب أحد الشيئين إلى الآخر لم يصدق احدهما على شيء مما صدق عليه الآخر ، فإن لم يتصادقا على شيء أصلا ، فبينهما التباين الكلّي ، كالإنسان والفرس ومرجعهما إلى سالبتين كليتين ، وإن صدقا في الجملة فبينهما التباين الجزئي ، كالحيوان والأبيض ، وبينهما من العموم من وجه ومرجعهما إلى سالبتين جزئيتين))[٤]

والذي يفهم من هذا التعريف أن التباين هو النسبة الموجودة بين شيئين أو أكثر ، وكل منهما ، أو جزء منهما يتميز بوجود شيء غير موجود في الآخر ٠

وكلمة (التباين) بهذا المعنى تستعمل في علوم مختلفة ، كعلم الرياضيات ، فهي تستخدم للمقارنة بين الأطوال والقياسات المختلفة ،وتسمى مثلا العلامتان(>،<) علامتا التباين [٥] ،ولهذه الكلمة أيضاً حضور في ميدان الثقافة فيذكرون مصطلح (التباين الثقافي) ويراد به الاختلاف في آيدلوجيات التفكير والسلوكيات والتصرفات العامة [٦] وفي علم الاحصاء هناك قانون اسمه (قانون التباين)وهو من القوانين المستخدمة على نطاق واسع في الحصول على البيانات المختلفة ، وفي فن الرسم

كذلك يستعمل اصحاب هذا الفن مصطلح (التباين اللوني) للدلالة على الاختلاف بين الالوان [٧] الى غير ذلك من العلوم والمجالات.

إنّ الكلام على ظاهرة التباين يقتضي التفريق بينهما وبين ظاهرة المغايرة التي تعني المخالفة مطلقاً ،لان الاختلاف أو الفرق الذي يعني المغايرة يكون ميدانه واسعاً وكبيراً [٨]

الدلالة لغة واصطلاحاً

قال ابن فارس : ((الدال واللام : أصلان ، أحدهما : إبانة الشيء بأمارة نتعلمها والآخر: اضطرب في الشيء فالأول قولهم : دللت فلانا على الطريق ، والدليل : الأمارة في الشيء، وهو بين الدلالة والدُلالة))[٩]

ويقول الجوهري : الدلالة في اللغة مصدر دلّه على الطريق دلالة (بفتح الدال) ،ودلالة (بكسر الدال) ودلولة (بفتح الدال) في معنى : ارشده))[١٠]

وفي اللسان : (الدليل : ما يستدل به ، والدليل : الدال ، وقد دلّه علي الطريق يدله ودلالة ودلالة (بكسر الدال وفتحها) ودلولة والفتح أعلى))[١١]

ويستفاد من هذا العرض المعجمي ، أن المعنى المحوري الذي تدور حوله مادة (دلل) هو الإرشاد والإبانة ٠

أما في الاصطلاح : فقد ذكر التهانوي (أن الدلالة في مصطلح أهل المنطق هو أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء اخر))[١٢]

وحدّه الاصفهاني بقوله : ((اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث أذا سُمع أو تخيّل ،لاحظت النفس معناه))[١٣]

التباين الدلالي في اصطلاح اللغويين

التباين الدلالي في اصطلاح اللغويين والدارسين هو تعبير عن ظاهرة من ظواهر اللغة ، ويراد به تلّمس المعاني الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة المعاني ، وهذه المعاني قد تكون خافية على كثير من متكلمي اللغة ، أو بعبارة اخرى هو ((تلّمس الفروق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها))[١٤]

لقد كان هذا التقارب في المعاني وهذا التشابه في الدلالات ملحوظاً لدى العرب القدماء ، بيد أنه مع مرور الزمن وكثرة الاستعمال أصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد ، غير مكترثين بما بينهما من

فروق دقيقة ولا مراعين التباين فيها ، حتى ظنّ بعضهم أن هناك كثيرا من الكلمات التي يعتقد أن المعنى فيها واحد ، ولكن في الحقيقة أن هناك فروقاً وتبايناً بينهما تجعل لكل لفظة دلالة خاصه بها[١٥]

ومما لاشك فيه أن هذا الفهم الخاطئ قد أصاب الألفاظ المتقاربة المعنى في القرآن الكريم أيضاً ، فما يجري على اللغة العربية يجري على القرآن الكريم لأنه نزل بلسانها ، إذ وردت في القرآن الكريم كلمات يستخدمها ابن اللغة ويظن أنها متطابقة المعنى ولكنها في الحقيقة ليست كذلك ، إذ أن هناك فروقاً دلالية طفيفة بينها فمثلاً كلمتا (الوالدة والأم)والتي يظن كثير من أهل اللغة أنهما متطابقتان، وهذا غير صحيح ، والاستعمال القرآني للفظتين يكشف ذلك ،إذ إن استعمال كلمة (الوالدة) ترتبط بصفة الوالدية أو الحمل والولادة التي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها ،ولهذا علقت لها أحكام خاصة كأحكام الرضاعة ،قال تعالى ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ...)) [البقرة /٢٣٣]

أمّا كلمة (الأم) فقد وردت في آيات كثيرة لتشير إلى قرابة النسب [١٦] ،من ذلك قوله تعالى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)) [القصص /٧] ، أو تشير إلى صفة الأمومة التي تسبق مرحلة الولادة ، فلا تستحق الأم معها أن تسمى والدة ، قال تعالى ((وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)) [النجم/٣٢]

ومثل ذلك يقال في كلمتي (الأب واالوالد) ، إذ يظنّ كثير من الناس انهما مترادفتين وبمعنى واحد ولا يفرقون بينهما والصحيح انهما ليسا كذلك بل هما متقاربتين في المعنى وهناك فرق دقيق بينهما ، فكلمة (الأب) تحمل معنى الرعاية والعناية والتربية [١٧]أما كلمة (الوالد)ففيهما معنى التوالد والتناسل وحصول الشيء عن شيء قبله وانفصاله عنه [١٨] والاستعمال القرآني لكلا اللفظتين يكشف هذ الفرق .

وهناك امثلة اخرى كثيرة مثل (الشك والريب) و (الخوف والخشية) و (الغيث والمطر) و (الحمد والشكر) ، و(النبأ والخبر) وغير ذلك كثير لا يتسع المجال لذكرها هنا ، وقد اصطلح على البحث اللغوي الذي يهتم بتحديد دلالة الألفاظ المتشابهة المعاني بـ(الفروق اللغوية) ، واهم كتاب وصلنا في هذا المجال هو كتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري (١٠٠٥ هـ)

إن البحث في المعاني الدقيقة بين الألفاظ التي تقع في النصوص المتشابهة يثبت جزماً أن لا سبيل لاحلال لفظ مكان لفظ آخر ، ((فقد تكون اللفظ ضعيفة في الموضع الذي تتمكن فيه مرادفتها ، وربما تحسن في مقام تزدري فيه مقارنتها))[١٩]

المبحث الأول

(التباين الدلالي على مستوى المفردة) :

اولا :الاختلاف في بنية المفردة (أبنية الاسماء، أبنية الافعال ،المفردة بين الاسمية والفعلية)

ثانيا: الاختلاف في أحوال المفردة من جهة (التعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، ومن جهة ذكر المفردة وحذفها)

اولا :الاختلاف في بنية المفردة (أبنية الاسماء، أبنية الافعال ،المفردة بين الاسمية والفعلية)

١ـ الاختلاف في أبنية الأسماء

هناك آيات كريمة يكون ألاختلاف في أبنية أسمائها وذلك كأن يكون الاختلاف في المفردة من حيث إفرادها وتثنيتها ، أو من حيث إفرادها وجمعها أو قد يكون التباين في صيغ الجموع

أ- اختلاف الاسم إفراداً وتثنية

قد تختلف آيتان متشابهتان في مفردة من حيث الافراد والتثنية فترد في آية بصيغة الافراد وفي آية أخرى بصيغة التثنية ، ولعل من ألأمثلة على ذلك قوله تعالى : ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ)) [طه /٤٧] ،فقد وردت لفظة(رسولا)بصيغة التثنية في حين جاءت بصيغة الافراد في قوله تعالى ((فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [الشعراء /١٦] مع أن الخطاب موجّه إلى موسى وهارون في كلتا ألآيتين والسبب في إفراد الرسول في آية الشعراء- كما يرى أبو حيان - هو(اتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما بسبب الأخوة كأنّما هما رسول واحد) [٢٠]أما التثنية في آية طه فقد جاءت على اللغة المعروفة وهي المطابقة في التثنية٠

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن سبب التباين أن الكلام في آية الشعراء مبني على الوحدة قال تعالى على لسان موسى ((قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)) [الشعراء /١٢-١٣]وأمّا الكلام في آية طه فبني على التثنية قال تعالى : ((اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) [طه /٤٢-٤٣-٤٤]وعلى هذا فليس من المناسب أن توضع (رسولا)بالتثنية في آية الشعراء ولا أن توضع (رسول)بالأفراد في آية طه [٢١]

ب-اختلاف ألاسم إفراداً وجمعاً

قد يكون الاختلاف في المفردة من حيث الافراد والجمع ،فترد في مكان بصيغة الافراد وفي مكان آخر بصيغة الجمع ، من ذلك ورود كلمة (معدودة)بصيغة الافراد في قوله تعالى ((وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً)) [البقرة /٨٠] ووروردها بصيغة الجمع (معدودات) في موضع آخر وذلك في قوله تعالى ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)) [آل عمران ٢٤]

وقد ذهب الرازي في تفسير ذلك إلى القول : (إنّ الاسم اذا كان مذكرا فالأصل في جمعه التاء ،يقال: (جرّة وجرار مكسورات)و (خابية وخوابي مكسورات)إلا أنّه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نحو صمّام وصمّامات ،وجمل سبطر وجمال سبطرات ، وعلى هذا ورد قوله تعالى (في أيام معدودة)و (في أيام معدودات)فالله تعالى تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله(أياما معدودة)وفي آل عمران بما هو الفرع) [٢٢].

ومن الآيات الأخرى التي اختلفت مفرداتها إفراداً وجمعاً قوله تعالى ((فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [الأعراف /٧٨] مخبراً فيها عن قوم صالح ، فقد أفرد الدار في هذا الآية في حين جمعها في قوله تعالى: ((وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) [هود/٩٤] مخبراً فيها عن قوم شعيب عليه السلام ٠

وسبب ذلك كما يرى صاحب البرهان أنّ الصيحة من السماء فتبلغ مساحة من الأرض اكبر مما تبلغه مساحة الرجفة ، لانّ الرجفة وهي الزلزلة الشديدة تختص بجزء من الأرض فلذلك وحّد مع الرجفة وجمعها مع الصيحة [٢٣]

ويؤيد ما ذهب إليه الزركشي أننا إذا تصفحنا المصحف وجدنا أنّه حيث ذكر الرجفة أفرد فيه الدار وحيث ذكر الصيحة جمعها ، فمثال ما افرد فيه الدار بسبب ذكر الرجفة قوله ((فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) [الأعراف٩١]

ومثال ما جمع في الدار لذكره الصيحة قوله تعالى ((أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) [هود /٦٧].[٢٤]

ج ـ التباين في صيغ الجموع

من المعروف في صيغ الجموع في العربية أنّه قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من جمع فتجمع مرة جمع مذكر سالم ومرة أخرى جمع تكسير ، نحو كلمة (نبي) التي تجمع على (نبيين) و (أنبياء) .وقد تجمع الكلمة جمع مؤنث سالم تارة وتارة أخرى جمع تكسير نحو كلمة (سنبلة) التي تجمع (سنبلات) و(سنابل) وقد تتباين الكلمة في جموع التكسير فتأتي مرة على صيغة ومرة ثانية على صيغة أخرى نحو كلمة (بحر) فقد تجمع (جمع قلة) على (أبحر) وقد تجمع جمع كثرة (بحار)،وقد جاءت هذه الصور من الجموع في القرآن الكريم فنرى أن الكلمة الواحدة قد اختلفت في جموعها ولا بد أن يكون هناك سبب لتخصيص الآية بالجمع الذي وردت فيه دون الجمع الاخر ٠ولعل من الأمثلة على ذلك كلمة(خطيئة)التي جمعت جمع تكسير(خطايا)وذلك في قوله تعالى((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ))[البقرة ٥٨] وفي موضع أخر جمعت جمع تكسير(خطيئات)وذلك في قوله تعالى ((وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)) الأعراف ١٦١] على الرغم من أن الخطاب في كلا الآيتين موجّه لبني إسرائيل ،فما سبب التخصيص٠

يرى صاحب (ملاك التأويل)أنّ آية البقرة جاءت في مقام تعداد النعم والألاء على بني إسرائيل فجاءت (خطايا)على صيغة جمع التكسير الذي يفيد الكثرة ليناسب ما قصد من تكثير الالاء والنعم ،بخلاف آية الأعراف ،التي لم يرد فيها ذلك ، فهي لم تبن على تعداد النعم على بني إسرائيل فجاءت مجموعة جمعا مؤنثا سالما (خطيئات) الذي يفيد القلة [٢٥]

وهناك سبب آخر للتخصيص ذكره الالوسي وهوان الله تعالى أسند القول إلى نفسه في آية البقرة فناسب هذا الإسناد أن تأتي كلمة (خطيئة)مجموعة جمع تكسير ليدل هذا الجمع على انه يغفر لهم خطاياهم مهما كانت كثيرة ،بخلاف آية الأعراف فانه كما لم يسند القول فيها إلى نفسه وإنما ذكر القول بالبناء للمجهول فقال: (وإذا قيل لهم) أتى بجمع القلة فقال (خطيئات) [٢٦]

٢ـ الاختلاف في أبنية الأفعال

في القران الكريم آيات متناظرة يكون الاختلاف في أبنية افعالها٠فقد يأتي الفعل مجرداً في آية ومزيداً في آية أخرى ،أوقد يكون الاختلاف في الإدغام وفكه ،أومن حيث البناء للمعلوم والمجهول وسنقف على نماذج لذلك:

أـ يأتي الفعل مجرداً أحيانا ومزيداً في أخرى :

وردت في القران الكريم آيات متشابه تختلف أفعالها من حيث التجرد والزيادة فجاءت في موضع بصيغة مجردة وفي موضع أخر بصيغة مزيدة، من ذلك الفعل (تبع)حيث ورد مجردا في قوله تعالى: ((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [البقرة ٣٨] أما في قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)) [طه/١٢٣] حيث ورد مزيداً بالهمزة والتاء٠

و سبب الاختلاف هو((ن آية طه تتضمن أمرين:مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة ٠وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة ٠والحالة الأولى تتطلب عملا أكثر واشق٠فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للامر الشاق٠وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف))[٢٧]

ومن الأمثلة الأخرى ما جاء في الآيتين الكريمتين في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)) [الأنعام/٤٢] وقوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)) [الأعراف٩٤] فقال عز وجل في آية الأنعام (يتضرعون)،وقال في الأعراف (يضرعون) بالإبدال و الإدغام ، والسبب في ذلك انه قال في الأنعام (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك)وقال في الأعراف : (وما أرسلنا في قرية)والأمم أكثر من القرية ،وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ ،فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول للبناء ، فقال: (يتضرعون)ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية جاء بما هو اقصر فقال :(لعلهم يضرعون)فوضع كل مفردة مكانها اللائق بها٠[٢٨]

ب-البناء للمعلوم والمجهول

هناك آيات متشابهة ذكرت فيها أفعال مبنية للمعلوم في موضع ومبنية للمجهول في موضع آخر ٠من ذلك الفعل (طبع)فقد جاء مبنياً للمعلوم في قوله تعالى : ((إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) [التوبة/٩٣] وجاء مبنياً للمجهول في السورة نفسها قال تعالى: ((رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ))[التوبة / ٨٧]ويرى صاحب كتاب ملاك التأويل أن السبب في ذلك هو أن مطلع الآية التي قبلها (وإذا أنزلت سورة)ببناء (أنزل) للمجهول ،وأما الآية الثانية فلم يقع قبلها فعل مبني للمجهول[٢٩] وهذا تناسب لفظي جميل

٣ ـ المفردة بين الاسمية و الفعلية

وردت في القران الكريم آيات متشابهة فيها مفردات بصيغة (الاسم) وفي نظائر لها بصيغة (الفعل) ولابد أن يكون هناك سبب لذلك ٠وقبل أن نعرض الأمثلة نجد انه من المناسب في هذا المقام أن نبين ما يفيده كل من الاسم والفعل فمن المعروف أن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد الحدوث و التجدد فإذا قلنا (محمد مجتهد) فقد أسندنا الاجتهاد إلى محمد على وجه اليقين ، وإذا قلنا (يجتهد محمد) فقد أسندنا إليه الحدوث والتجدد[٣٠]

يقول عبد القاهر الجرجاني (وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى لشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المتشابه شيئا بعد شيء ، فإذا قلت (زيد منطلق) فقد اثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئاً وأما الفعل فانه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت (زيدُ ها هو ذا ينطلق) زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً و جعلته يزاوله) [٣١]

ولعل من الأمثلة على ذلك قوله تعالى على لسان نوح (عليه السلام) ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) [الأعراف /٦٢] إذا ورد فيها الفعل (انصح)و قوله على لسان هود (عليه السلام) ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ))[الأعراف /٦٨] إذا ورد فيها الاسم (ناصح) و قد ذكر الرازي سبب قول نوح (انصح لكم) و قول هود (و أنا لكم ناصح) فقال : (فلما كان من عادة نوح (عليه السلام) العود إلى تجديد تلك الدعوة كل يوم وفي كل ساعة لا جرم جاء بصيغة الفعل (وانصح لكم) وأما هود فقوله (وأنا لكم ناصح) يدل على كونه مثبتا في تلك النصيحة مستقراً فيها)[٣٢] ويؤيد ذلك ما جاء في القران الكريم على لسان نوح ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا))[نوح ٥ -٩]

ثانيا :الاختلاف في أحوال المفردة من جهة(التعريف والتنكير ، والتذكير والتأنيث ،ومن جهة ذكر المفردة وحذفها)

١ ـ الاختلاف من جهة التعريف والتنكير

من الأمثلة على ذلك مجيء كلمة (الحق)معرّفة في آية ونكرة في آية أخرى مشابهة للأولى وذلك في قوله تعالى: ((وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)) [البقرة ٦١] حيث وردت كلمة(الحق)معرّفة بالإلف واللام٠وفي آية متشابهة وردت نكرة (بغير حق)وذلك في قوله تعالى ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)) [آل عمران ١١٢] والسبب في ذلك كما يرى الرازي أن الحق المذكور بحرف التعريف في آية البقرة هو إشارة إلى الحق المعلوم المعروف عند الناس الذي يوجب القتل،وأما قوله(بغير حق)بالتنكير في آية آل عمران فيراد به تأكيد العموم أي لم يكن هناك حق أصلا[٣٣]

وهذا المعنى أشار إليه د٠فاضل السامرائي فقال : (أن)كلمه(الحق)المعروفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل ،والحق الذي يدعو إلى القتل معروف ومعلوم ،وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلا،فليس هناك وجه من وجوه الحق يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم [٣٤]

٢ـ الاختلاف من جهة التذكير والتأنيث

من المعروف انه إذا فصل بين الفعل وفاعله بفاصل سواء أكان الفاعل حقيقيا أو مجازيا جازفي ذلك ذكر تاء التأنيث وحذفها ، وفي ذلك يقول ابن مالك:

وقد يبيح الفعل ترك التاء نحو أتى القاضي بنت الواقف [٣٥]

وقد وردت في القران الكريم آيات جاء فيها الفعل مذكرا ، وفي موضع آخر شبيه للأول جاء مؤنثا٠من ذلك قوله تعالى ((وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) هود٦٧] إذ ورد الفعل (اخذ) بدون تاء التأنيث مع أن الفاعل مؤنث وهو(الصيحة) وفي موضع آخر ذكرت فيه تاء التأنيث مع الفاعل نفسه وذلك في قوله تعالى ((وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) [هود٩٤]والملاحظ أن هاتين الآيتين متشابهتين تماما ،إلا أن الفعل (اخذ)جاء في الأولى مؤنثا،وفي الثانية مذكرا٠

ولنا أن نتساءل عن سبب تذكير الفعل في الأولى وتأنيثه في الثانية ،والجواب على ذلك نقول :أن الحذف والإثبات جائزان في هذين الموضعين فجاء في الآية الأولى على الوجه الأول ثم ورد في السورة نفسها بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني جمعاً بين الوجهين [36]

ويرى ابن الانباري أن حذف التاء في الفعل(اخذ)في الآية الأولى يرجع إلى انه محمول على المعنى، لان الصيحة في معنى الصياح كقوله تعالى : ((فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ))[البقرة٢٧٥] ولم يقل جاءته، لان الموعظة بمعنى الوعظ٠[37]

٣ـ الاختلاف من جهة ذكر المفردة وحذفها

ومن الامثلة على ذلك ذكر السيدة مريم (عليها السلام) في موضع وحذفها والاكتفاء بذكر صفتها في موضع اخر٠قال تعالى في سورة الأنبياء ((وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ))وقال في سورة التحريم : ((وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)) [التحريم /١٢]

من الملاحظ في هذين النصين أنّه لم يذكر في سورة الأنبياء اسم السيدة مريم (عليها السلام) وإنما ذكر صفتها وهي (التي أحصنت فرجها)،وانه ذكره في سورة التحريم علاوة على صفتها

فقال (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها)٠وفي سورة الأنبياء قال:(فنفخنا فيها من روحنا) وفي التحريم (فنفخنا فيه من روحنا) وذكر ابنها في سورة الأنبياء ولم يذكره في سورة التحريم

ولعل أسباب هذا الاختلاف هي :

١-أنّه لم يذكر اسمها في الأنبياء لان السياق في ذكر الأنبياء فذكر (موسى وهارون)فلم يصرح باسم مريم لأنها ليست من الأنبياء ٠

٢ ــ السياق في سورة التحريم في ذكر النساء فذكر مثلاً امرأة نوح ولوط من الكوافر وذكر امرآة فرعون ومريم ابنة عمران من المؤمنات فكان التصريح اسماً أبلغ وأظهر من الأفعال مدحا أو ذمّا ٠

٣- إنّ قوله (فنفخنا فيها من روحنا) أعمّ من قوله (فنفخنا فيه من روحنا) فقوله ٠(فيها) يعمها كلها ، وأمّا قوله: (فنفخنا فيها فهو اخص لأنه إشارة إلى موضع النفخ ..... كما أن قوله تعالى : (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها)اخص من قوله تعالى :(والتي أحصنت فرجها)لأنه خصها بالعلم والوصف ..... وهو كلام عظيم بعضه أعلى من بعض))[٣٨]

المبحث الثاني

(التباين الدلالي على مستوى التركيب)

اولا : التقديم والتأخير

ثانيا : الذكر والحذف

ثالثا : الإبدال

رابعا : التكرار

أولا : التقديم والتأخير

ترد في القرآن الكريم أحيانا آيات متناظرة تختلف مفرداتها من حيث التقديم والتأخير ،ففي موطن ما مثلا يأتي المبتدأ ثم يأتي الخبر بعده ،أي بمعنى انه يأتي على الأصل ولكنه في موطن آخر شبيه به يُقدم الخبر ويتأخر المبتدأ٠

وكذا الحال مع الفعل والفاعل ففي موضع يتقدم الفعل على الفاعل ولكنه في موضع آخر شبيه به يتقدم الفاعل على فعله ، إلى غير ذلك من أوجه التقديم والتأخير الأخرى

إنّ التقديم والتأخير قد حظي بعناية العلماء القدامى ، إذ عد هذا الأسلوب كنز من كنوز البيان ،يقول عنه سيبويه (١٨٠هـ) مبيّناً أهميته ((إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)) [٣٩]

ويود الباحث أن يسجل في هذا الموضع عدم اتفاقه مع ما ذهب إليه الدكتور محمود السيد شيخون في كتابه (أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم) في نظرته إلى جهود العلماء القدامى إزاء ما ذكروه عن هذا الأسلوب ،

فقد جاء في مقدمة الكتاب ((على الرغم من كثرة أسرار التقديم والتأخير ولطائفه ، فلم يهتم به احدٌ من المتقدمين ، ولم يبيّنوا ما له من أثر في الكلام ، وكان عمدتهم في بيان سبب ما قُدم أن يقولوا : قدّم للعناية به ، ولأن ذكره أهم ٠٠٠وذلك لظنهم أنه يكفي أن يقال في كل شيء قدم انه قدم للعناية به ،ولان ذكره أهم ،وذلك الظن الفاسد قد صرفهم عن أدراك سر الأعجاز في القرآن))[٤٠]

ولسنا هنا بصدد إثبات هذا الأمر والدفاع عن القدماء ولكن يكفي أن نشير على عجالة إلى بعض ما ذكره هؤلاء العلماء عن هذا الأسلوب مكتفين بعالم لغوي وآخر بلاغي على سبيل المثال:

فهذا ابن جني(٣٩٢هـ)جعله من شجاعة العربية وارجع سبب التقديم إلى الاتساع في الكلام فقال عن تقديم المفعول به على الفاعل ((وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطّرد في مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعا ذلك أبا عليا إلى أن قال :

(إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقدم الفاعل قسم قائم برأسه ،وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعا نحو

قوله تعالى : ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)) فاطر:٢٨]

والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر))[٤١]

كذلك عنى به البلاغيون ولعل من ابرزهم :عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فالتقديم والتاخير عنده (باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفترلك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ولا يزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطفه لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ،أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)[٤٢]

أنواع التقديم والتأخير

أـ التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر

ترد بعض الآيات يكون المبتدأ فيها مقدما على الخبر ولكنه في مواطن آخر شبيهه له يؤخر عنه ، ولعل من الأمثلة على ذلك ما جاء في الآيتين الكريمتين قوله تعالى((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [الفاتحة :٢]

وقوله تعالى : ((فلله الحمد ربّ السماوات ورب الارض ربّ العالمين)) الجاثية٣٦] ، حيث نلاحظ في هاتين الآيتين أن الآية الأولى جاءت على الأصل في تقديم المبتدأ (الحمد)على الخبر شبه الجملة(لله) ونعني بالأصل نظام الجملة العربية ، فمن المعروف أن الأصل في الجملة ألاسمية أن يتقدم المبتدأ على الخبر جاء في(شرح الرضي على الكافية):(إنما كان أصل المبتدأ التقديم لأنه محكوم عليه ولابد من وجوده قبل الحكم)[٤٣]

ويقول ابن مالك :

والأصل في الأخبار أن تؤخر وجوزوا التقديم إذ لا ضررا [٤٤]

أمّا الآية الثانية التي جاءت في سورة الجاثية فقد قدّم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ٠

وتفسير هذا التباين في كلا الآيتين ، أنّ الآية الأولى جاءت على الأصل ، ولم يكن هناك ما يستدعي مجيئها على خلاف الأصل ، أمّا الثانية التي وردت في سورة الجاثية فقد اقتضى المقام تقديم الذات المستحقة للحمد ،فقد ذكرت هذه السورة الكفاروعقائدهم ، من ذلك أنهم نسبوا الحياة والموت إلى الدهر فقالوا ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) [الجاثية٢٤]ولم ينسبوه إلى الله عز وجل الذي بيده كل شيء ، ولذلك ناسب تقديم الذات الإلهية في هذا المقام [٤٥]

وهناك سبب أخر وهو أن أكثر الآيات في سورة الجاثية جاءت على طريقة الحصر(لهم عذاب مهين)/٩،(ولهم عذاب عظيم)/١٠ و(لهم عذاب من رجز أليم)/١١ ،وواضح من هذه ألآيات تقديم الخبر(شبه الجملة)على المبتدأ

ب ــ التقديم والتأخير بين الفعل والفاعل

من الأمثلة على ذلك ما جاء في الآيتين الكريمتين ، قوله سبحانه((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[الحديد ١٢] والأخرى قوله سبحانه ((يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[التحريم :٨] والملاحظ في هاتين الآيتين أنه ذكر في أية سورة الحديد(يسعى نورهم)إذ جاءت هذه الآية على الأصل في نظام الجملة العربية في تقديم الفعل على الفاعل ،فالأصل في الجملة العربية كما يذكر النحاة أنّ الأصل فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل ،لذلك لا يسأل فيها عن السبب ،أمّا إذا تقدم الفاعل على الفعل فقد صارت الجملة أسمية ودخلت في باب التقديم والتأخير ،وهو ما جاء في آية سورة التحريم إذ تقدم الفاعل (نورهم)على الفعل (يسعى)، أي إنها جاءت على خلاف الأصل ٠

ويرى صاحب (ملاك التأويل)أنه أتى في آية سورة الحديد بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث والتجدد لأنه لم يذكر المؤمنين مع نبيهم ٠(عليه الصلاة والسلام)[٤٦]

أما آية سورة التحريم فقد أتى بالجملة ألاسمية التي تفيد الثبوت وأنه ذكر المؤمنين مع نبيهم (صلى الله عليه واله وسلم)وذلك في قوله(والذين امنوا معه)[٤٧] وقوله هذا يتناسب مع ما ذهب إليه كثير من النحاة الذين يرون أن الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث ،وأن الجملة ألاسمية الثبوت ٠

يقول عبد القاهر في كتابه (دلائل الأعجاز):((وبيانه أن موضوع ألاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ٠٠٠ وأمّا الفعل فأنه يقصد فيه إلى ذلك)) [٤٨]

ـ التقديم بين الفاعل والجار والمجرور

من المعروف أن الغرض من التقديم هو العناية والأهتمام ،فما يقدم يكون أهم من الذي يؤخر ، وقد مرّ بنا قول سيبويه أنّ العرب ((إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[٤٩] وهذا في عموم التقديم

((وتندرج العناية والاهتمام مع الكلمات تدرجاً تنازلياً٠٠٠فقولك :(ذهب الى المسجد خالد) يقصد أن العناية بالجار أكثر من قولك :(ذهب خالد إلى المسجد)) [٥٠]

لذلك يفهم أن تقديم الجار والمجرور على الفاعل يكون في مواضع أبلغ من تأخره عنه ، وأن العناية والاهتمام به أكثر من الذي يأتي بعده ،والذي يحدد ذلك سياق النص ٠

ولعل من الأمثلة على ذلك قوله تعالى ((وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ))[القصص/ ٢٠

وقوله تعالى ((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ))[يس /٢٠] ، إذ قدم الفاعل (الرجل) في الآية الأولى على الجار والمجرور(من أقصى المدينة) وأخر عنه في الآية الثانية والسبب في ذلك أن أية سورة القصص جاءت على الأصل وليس هناك ما يستدعي مجيئها على غير الاصل٠

أمّا آية سورة يس فقد قصد فيها(من بعد مسافة عن داعية إلى الهدى فلم يضره بعد الدار))[٥١] أي بيان المسافة التي جاء منها الرجل هو ألأهم في هذا الموطن لذلك قدم٠ هذا المعنى يتوافق مع ما ذكره الخطيب ألاسكافي من أن الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفاعل في هذه الآية هو أن يعرف المخاطب أن الرجل ((جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس وحيث لا يقرب من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة٠فقدم ما تبكيت به القوم به أعظم والتعجب منه أكثر،فقال (وجاء من أقصى المدينة رجل) ينصح لهم))[٥٢]

ووجد الباحث إشارة إلى هذا المعنى في كتاب (معاني النحو) للدكتور فاضل السامرائي وهو يقارن بين قولين :

الأول: قولنا (قدم من القرية رجل) والثاني قولنا :(قدم رجل من القرية)

فيقول((أنّ المعنى الأول أن قدومه كان من القرية وأما الثاني فيحتمل هذا المعنى ويحتمل معنى أخر وهو أن قدومه هذا لم يكن من القرية))[٥٣]

ج ـ التقديم والتأخير في المعطوفات

ونعني به تقديم أحد المعطوفين على صاحبه في موضع وتأخيره عنه في موضع آخر ولابد أن يكون هناك موجب دلالي تترجح به قوة المعنى وتماسك السياق وهو مظهر اسلوبي من اساليب القران الكريم

ولعل من الأمثلة على ذلك ذكر(المغفرة والعذاب)إذ أنه من المعروف في أساليب القران في ذكرها أنه يبدأ بذكر المغفرة ويؤخر العذاب [٥٤]

كقوله تعالى) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران /١٢٩]

وقوله تعالى: ((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الفتح /١٤]، ومواضع أخرى [55]

وعلى هذا المعنى ما جاء في الحديث القدسي (أن رحمتي سبقت غضبي) ولكنه قد خرج عن هذا النظام في مواضع اقتضت الحاجة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيبا وزجراً كما يقرر الزركشي ، منها قوله تعالى ((أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [المائدة /٤٠] والحكمة في تقديم العذاب على المغفرة هنا أن الآية وردت في سياق الحديث عن قطّاع الطرق والسراق والمحاربين لله ورسوله الذين يسعون في الأرض فسادا الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى : ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [المائدة /٣٣] فكان من المناسب تقديم ذكر العذاب ،جاء في تفسير روح المعاني قوله تعالى (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء)

((أمّا تقرير ملكوت السموات والأرض له سبحانه ،وأمّا خبر آخر ،لأن الظاهرفي الحديث (سبقت رحمتي غضبي) تقديم المغفرة على التعذيب ، وإنمّا عكس هنا لأن التعذيب للمصرّعلى السرقة ، والمغفرة للتائب منها وقدمت السرقة في الآية أولاً ثم ذكرت التوبة بعدها فجاء هذا اللاحق على ترتيب السابق))[٥٦]

وهذا المعنى يكاد يكون قريبا مما ذكره أبو حيان ، إذ قال في تفسير هذه الآية ((لما ذكر تعالى تصرفه في أحكام المحاربين وأحكام السراق ،ولم يحاب ماذكر من العقوبات عليهم نبه على أن ذلك هو تصرف في ملكه وملكه لا معقب لحكمه فيعذب من يشاء وهم المخالفون لأمره ويغفر لمن يشاء وهم التائبون ، والخطاب ٠٠قيل للمجترئ على السرقة وغيرها من المحظورات ، والمعنى : ألم تعلم أنك عاجز عن الخروج عن ملكي هارباً مني ومن عذابي فلم اجترأت على ما منعتك منه))[٥٧]

ثانيا :الحذف والذكر :

الذكر والحذف مصطلحان متلازمان في الاستعمال النحوي والبلاغي يترافقان في هذا ألاستعمال مع كونهما متناقضين في ماهيتهما٠

لقد وحّد العلماء (النحاة والبلاغيون)بين المصطلحين ورأوا أن الأصل في الكلام الذكر ولا يحذف منه شيء إلا بدليل سواء أكان هذا الدليل معنوياً أي يقتضي المعنى أم صناعياً تقتضيه الصناعة النحوية .

إنّ هذا الأسلوب في طبيعته ينتمي إلى علم المعاني ، فضلاً عن كونه من مباحث علم النحو ، وهو من أهم سنن العرب في كلامها لأنه يربط بين مقتضيات التعبير وحاجاته ،وهو ما أدركه النحاة الأوائل الذين كثر عندهم الحديث عنه .[٥٨]

فقد أشار إليه سيبويه (١٨٠هـ) في أكثر من موضوع من الكتاب مبيّناً أنواعه وكاشفاً عن أسراره وأسبابه ، مؤكّداً أن ذلك من سنّة العرب الفصحاء في أساليبهم [٥٩]

كما أشار أليه الفرّاء(٢٠٧هـ) في أكثر من موضع في كتابه (معاني القرآن)،وكانت له نظرات ثاقبة في تبيان مواطن الذكر والحذف [٦٠]، وكانت لابن جني أيضاً إشارات واضحة لهذا الأسلوب ، إذ جعله باباً قيّماً من أبواب شجاعة العربية [٦١]

كما حظي هذا الأسلوب بعناية البلاغين أيضاً ،يقول عنه الجرجاني (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ،عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ،فأنك ترى به ترك الذكر أوضح من الذكر ، والصمت عن ألأفادة ، أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً أذا لم تبنْ) [٦٢]

لقد كانت عناية الجرجاني بهذا الأسلوب واضحة حتى أنه أفرد له اثنتين وعشرين صفحة في كتابه دلائل الأعجاز

أنواع الحذف والذكر

أ - حذف حرف في موضع وذكره في موضع آخر:-

لعل من الأمثلة الواضحة على ذلك قوله تعالى : ((آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)) [الكهف ٩٦ -٩٧]

حيث قال تعالى سبحانه (فما اسطاعوا أن يظهروه)وقال (وما استطاعوا له نقبا)
ولنا أن نتساءل عن سبب استعمال الفعل (اسطعوا)مع الظهور و(استطاعوا) مع النقب ، لأن هذا الأمر لا يمكن أن يكون اعتباطاً ، بل لابد أن يكون هناك سبب .

لقد وقف البحث على مجموعة من أقوال العلماء في تفسير هاتين الآيتين وخلص إلى أن السبب في ذلك اقتضاه السياق ، وهو مبني على القاعدة اللغوية التي تقول : (أنّ الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى)[٦٣] ذلك أن الظهور على السد والصعود فوقه أيسر من نقبه فجئ بالفعل الخفيف مع العمل ألاخف.وجيء بالفعل التام مع العمل الأثقل وهوالنقب.

يقول الرازي :(قوله فما اسطاعوا أن يظهروه) أي ما قدروا على الصعود عليه لأجل ارتفاعه و(ما استطاعوا له نقبا) أي ما استطاعوا ذلك لأجل صلابته وخشونته)[٦٤]
وذكر الدكتور فاضل السامرائي في كتابه (بلاغة الكلمة)توجيهاً آخرا اعتمد فيه على الزمن الذي يستغرقه أحداث النقب في السد قياساً إلى الزمن الذي يتطلبه الصعود عليه ، فقال :((إنه كما

كان الصعود على السد يتطلب زمناً أقصر من أحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطقُ الزمن الذي يتطلبه كل حدث))[٦٥]

ولعل من الأمثلة الأخرى على ذلك أيضا ما جاء في آيتي سورة الزمر وهما قوله تعالى ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ)) [الزمر ٧١] وقوله تعالى في السورة نفسها ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)) [الزمر٧٣] الشاهد في هاتين الآيتين هو سبب استعمال (الواو)مع الفعل (فتحت)مع أبواب الجنة دون أبواب جهنم٠

اذ يرى الزركشي أن سبب ذلك هو أن أبواب جهنم مغلقة ولا تفتح الا عند مجيئهم فيفاجئهم عذابها وما أعد الله لهم فيها ،أما أبواب الجنة فهي مفتوحة ، ولا يتوقف فتحها على مجيء أهل الجنة اليها ، قال تعالى((جنّات عدن مفتّحة لهم الابواب))

ب - ذكر كلمة في موضع وحذفها في موضع آخر:

من ذلك ما جاء في آيتين متباينتين وهما قوله تعالى : ((وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) [التوبة /٩٤] وقوله تعالى : ((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) [التوبة/١٠٥] بزيادة (والمؤمنون)في الآية الثانية

وتوجيه ذلك عند الخطيب الاسكافي ، أن الآية الأولى كانت في المنافقين ، وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الأيمان ،والنفاق عمل يخفيه المنافق فلا يطلع عليه ألا الله سبحانه ،وقد يطلع عليه رسوله ،فلم يقل (والمؤمنون)لأن المؤمنين لا يرون أعمال المنافقين ٠

أمّا الآية الثانية فهي في المؤمنين وطاعاتهم فقال (والمؤمنون)لأن الأعمال الأسلامية يشاهدهما المسلمون بعضهم عن بعض كالصلاة والزكاة والحج وتجد ذلك من أعمال الأسلام[٦٦]

وتجد ذلك أيضا ما جاء في الآيتين المتباينتين ،وهما قوله تعالى : ((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [البقرة/٥٨]

وقوله تعالى : ((وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)) [الأعراف /١٦١] فقد زيدت(رغدا) في آية البقرة دون آية الأعراف ، ويعلّل الرازي ذلك أن الله تعالى لمّا أسند القول إلى نفسه في آية البقرة (وإذ قلنا)قال (رغدا) تكريماً لهم وتشريفاً ، ولما لم يسند القول إلى نفسه في آية الأعراف وإنما قال (وإذ قيل لهم)بني الفعل للمجهول ، ناسب ذلك حذف (رغدا)منها [٦٧]

ج ـ حذف شبه الجملة

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في سورة الكهف في سياق قصة موسى (عليه السلام)مع الخضر (عليه السلام) وذلك في قوله تعالى: ((قال ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبرا

))[الكهف/٧٢] وقوله تعالى ((قال ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبرا))[الكهف \٧٥]، بزيادة شبه الجملة (الضمير المجرور)(لك) في الآية الثانية ٠

إن المتأمل في الآيتين السابقتين ،يجد أن الآية الثانية فيها شيء من التأنيب ذلك انه لما كان الإنكار من موسى عند خرق السفينة بقوله ((قال أخرقتها لتغرق أهلها)) [الكهف/٧١] ،ذكّره الخضر بما كان قد قاله له ((قال ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبرا)) [الكهف \٧٢]فاعتذر موسى (عليه السلام) بقوله ((قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا))الكهف \٧٣ فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام وهو قوله ((أقتلت نفسا زكيّة بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا))[الكهف /٧٤] قال الخضر ذلك بتأكيد الكلام المتقدم فقال ((قال ألم أقل لك))[الكهف /٧٥] ليقابل بالكلام ما وضع من موسى (عليه السلام)زيادة التناسب[٦٨]

والحق أن زيادة الكلمات بزيادة التأنيب أو التوبيخ مستعمل في كلامنا الدارج ، فمثلاً عندما ترى شخصاً يصر على عمل لا يقوى عليه تخاطبه قائلاً :(قلت أنك لا تستطيع أن تفعل هذا الشيء) فإذا عاود فعله قلت له :(قلت لك أنك لا تسطيع أن تفعل هذا الشيء)بزيادة (لك) ، فإذا كرر محاولته قلت له: (قلت لك مراراً أنك لا تستطيع أن تفعل هذا الشيء) بزيادة مراراً ، ففي كل مره ترى نفسك تزيد في تقريعك كلمة أو أكثر على ما قلته في تقريعك السابق[٦٩]

ثالثا :الإبدال

قد تمر بنا آيات متشابهة أستبدل فيها حرف أو كلمة أو جملة ، ولابد أن يكون لهذا الإستبدال سبب اقتضاه سياق النص بحيث حسُن استعمال ذلك الحرف أو الكلمة أو الجملة في هذا الموضع ، واستبدل بنظيره في موضع آخر ٠

وقبل أن نعرض لهذه الآيات التي حصل فيها هذا الإستبدال يود البحث التأكيد على أمر وهو أن أسلوب القرآن الكريم متجانس ومنسجم بعضه مع بعض وكأنه صورة واحدة أو جسد واحد في البناء والتركيب والمعنى ،وان الخطاب القرآني يضع الحرف أو الكلمة والجملة في المكان الذي تستحقه وبحسب ما يقتضيه المقام بحيث يراعى النسق العام للآية و حتى السورة٠

أ ـ الإبدال بين الحروف :

لعل من الأمثلة على ذلك إبدال حرف الواو بحرف الفاء في الآيتين الكريمتين ، وهما قوله تعالى : ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) [الأنعام /٢١] وقوله تعالى : ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)) [يونس /١٧] إذ ورد في آية الأنعام (ومن أظلم) وفي آية يونس(فمن أظلم)والسبب في ذلك يتعلق بالبناء الداخلي لكلا السورتين [٧٠]

ذلك أن الآيات التي تقدمت في سورة الأنعام عطف بعضها على بعض بالواو وذلك في قوله تعالى : ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)) [الأنعام /١٩] ثم قال (ومن أظلم)وختم الآية بقوله (والظالمون)ليكون آخر الآية متفقاً لفظاً مع أولها٠

وأمّا في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض بالفاء وهي قوله تعالى : ((فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) [يونس /١٦] ثم قال :(فمن أظلم)بالفاء وختم الآية بقوله (المجرمون) ليتوافق مع ما قبلها و هو ((كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)) [يونس/١٣] فوصفهم بأنهم مجرمون ثم قال من بعده ((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) [يونس /١٤] فوصفتهم الآية (المجرمون)ليعلم أن سبيل هؤلاء سبيل من تقدمهم(٧١)

ب ـ الابدال بين الكلمات:

ومثال ذلك الابدال بين لفظتي (انفجرت) و (انبجست)فقد وردت لفظة (انفجرت)في قوله تعالى : ((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) البقرة \٦٠] ٠اما لفظة (انبجست)فقد وردت في قوله تعالى ((وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) [الأعراف\١٦٠] وكلا اللفظتين تمثلان فعلا سرديا ذا مضمون حدثي واحد ، وهو قصة موسى (عليه السلام) واستسقاؤه لقومه وقد تناول الفروق بين (الانفجار والانبجاس) بالدراسة عدد من المفسرين واللغويين القدماء والمحدثين ٠وكانت اراؤهم تقريبا واحدة ٠٠ومن هذه الآراء أن الانفجار والانبجاس يختلفان في الكثرة والقلة فخروج الماء يكون في بدايته انبجاسا ثم يصير انفجارا

يقول العلامة الطبرسي إن (الانفجار هو الانشقاق والانبجاس أضيق منه فيكون أولا انبجاسا ثم يصير انفجارا)(٧٢)

وترى الدكتورة عدوية الشرع أنّ قوة الامر في سورة البقرة في الفعل(اضرب)ووقوعه الحتمي القوي ٠لانه أمرمن الله (جل جلاله)جاء مناسبا لانفجار الماء ٠اما في سورة الإعراف فكان أمرالاستقاء من الله (جل جلاله)لموسى (عليه السلام)بالايماء (واوحينا الى موسى) فوردالامرمخففا بـ أن)التقديرية ،كما نلاحظ لينا ورخاوة وهما ،جاءت منسجمة مع لفظة (انبجست)التي تدل صفات حرووفها على والرخاوة (٧٣)

ومن الامثلة الاخرى على ذلك ايضا ما جاء في الآيتين وهما قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)) [الفتح /٤]وقوله في السورة نفسها ((وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)) [الفتح /٧] فقد قال في الآية الأولى وكان الله (عليما حكيما)وقال في الثانية (عزيزاً حكيما)

قيل إن السبب في ذلك أن الكلام الأول متصل بانزال السكينة وازدياد المؤمنين إيمانا فقد قال قبلها : ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)) [الفتح /٤] فهذا موضع علم وحكمة فقال : (عليما حكيما) وأمّا الآية الثانية في موضع عذاب وعقوبات فقد جاءت بعد قوله: ((وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْمُشْـرِكِينَ وَالْمُشْـرِكَاتِ الظَّـانِّينَ بِـاللَّهِ ظَـنَّ السَّـوْءِ عَلَـيْهِمْ دَائِـرَةُ السَّـوْءِ وَغَضِـبَ اللَّهُ عَلَـيْهِمْ وَلَعَـنَهُمْ وَأَعَـدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))
[الفتح /٦،٧]،فهذا موضع عزة وعلية وحكم ،لذلك قال (عزيزاً حكيما) (٧٤)

٤ـ التكرار:

التكرار هو دلالة اللفظ على المعنى مردّداً ، كقولك لمن تستدعيه :(أسرع أاسرع)، فإنّ المعنى مردّد للفظ واحد ، وهو يختلف عن الأطناب الذي هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة ،ويختلف عن التطويل أيضا الذي هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ،ويوجد التكرار في اللفظ والمعنى مثل (أطعني أطعني)،ويوجد في المعنى دون اللفظ مثل (أطعني ولا تعصني) ، فإن النهي عن المعصية هو أمر بالطاعة(٧٥)

والتكرار في عمومه يأتي لغرض التأكيد ، يقول : ابن الأثير(٦٣٧هـ) : (واعلم أن المفيد من التكرير أنه يأتي في الكلام توكيداً له ٠٠٠وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كرّرته في كلامك)(٧٦)

ويقول الزركشي عن أسلوب التكرار (وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظاناً أنه لا فائدة فيه ، وليس كذلك ،بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلّق بعضه ببعض)(٧٧)

بعد هذه المقدمة عن التكرار نعود لذكر بعض الآيات المكرّرة التي وقفنا عليها ، لنرى سبب تكرارها ، وتوجيه العلماء القدامى والمحدثين لهذا التكرار٠

من ذلك قوله تعالى ((كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)) [التكاثر/ ٣-٤]

يقول الفرّاء (٢٠٧هـ) في بيان علّة التكرار في هاتين الآيتين : ((الكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف ، فهذا من ذاك)) (٧٨)

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ((أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)) [القيامة ٣٤/٣٥]

إذ يرى صاحب ملاك التأويل أن سبب التكرار يتعلق بسياق النص ،ذلك أنه قد تقدم هاتين الآيتين وصف المجرم المكذّب بقوله تعالى : ((فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى))

[القيامة /٣١-٣٢-٣٣] ولهذا يستحق هذا الدعاء ، لان (أولى)مقلوب (ويل)وتكرار هذا الدعاء إشعار بأنه عمل عملا يستحق بسببه هذا النوع من العقاب (٧٩)

وقد ذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى ما ذهب إليه ابن الزبير من أن الآية الثانية جاءت تأكيداً للآية الأولى فقال : (أن سبب التكرار هو أنه (ذكر عدم التصديق وأكّده بالتكذيب ، وذكر عدم الصلاة وأكّده بالتولي ، ولكلّ تهديدٌ ووعيد ، فكرّره أربع مرات ، كل وعيد مقابل صفة)(٨٠)

ونحو ذلك أيضاً قوله تعالى: ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) ٥- ٦الشرح

يقول صاحب ملاك التأويل ((إنّ الله بشّر عباده بأن العسر يتبعه يسر وتأكيد ذلك بـ (إنّ المؤكدة للخبر)،وزيد تأكيداً بالتكرير)) (٨١)

وقد جاء (اليسر) في الآية نكرةً في الموضعين وهو إشعاربالتوسعة ولهذ ا قيل (لن يغلب عسر يسرين) ، ((فتحصّل من التكرير وتنكير ما نكر توسعة طرف الرجاء)) (٨٢)

وذهب الزركشي إلى أن التكرار هنا جاء لغرض التوكيد فقال ايضا ، فقال : ((إنّ الجملة الثانية هنا تأكيد للأولى لتقريرها في النفس وتمكينها من القلب ولأنه تكرير صريح له)) (٨٣)على أنه خالف الرأي القائل بتعدد اليسر فقال (ولا يدل ذلك على تعدد اليسر ،كما لايدل قولنا : (إنّ مع زيد كتابا إنّ مع زيد كتابا) على أنّ معه كتابين ، فالاصح أنّ هذا تأكيد))(٨٤)

المبحث الثالث

أسباب التباين الدلالي ودواعيه في الآيات المتناظرة :

١ ـ السياق القرآني

٢ ـ الفاصلة القرآنية

٣ ـ البناء الداخلي للسورة

تناولنا في المبحثين السابقين التبدّلات و التغيّرات في البنى التركيبة التي يتشكّل منها الخطاب القرآني على نطاق النصوص المتناظرة ، وهذه التبدلات والتغيرات - كما مر بنا – كان بعضها على مستوى المفردة ، وبعضها الآخر على مستوى التركيب ، ولرب سائل يسأل ، إذا كان ثمّة نصوص متناظرة ، قد حصل فيها مثل هذه التغيرات ٠٠ فما هي الاسباب والدواعي لهذا التباين في هذه النصوص ، الحق أنها تنحصر في ثلاثة أمور :-

الأول :- يتعلق بالسياق بوصفه أداة لها صلة وثيقة في توجيه المعنى ذلك أن السياق يعد سببا رئيسا في وضع النص بالبنائية التي هو عليها موازنة بصاحبه

والثاني :- يتعلق بالفاصلة القرآنية إذ أن من المعروف أن مراعاة القرآن للفاصلة القرآنية أدى إلى جملة تغيرات خرجت ببعض التراكيب عن أنماطها العادية ٠

الثالث :- يتعلق بالبناء الداخلي للسورة ، ذلك أن الخطاب القرآني بأسره يتسم بسمة الاتحاد ، وأن الناظر في أي سورة قرآنية يجدها على وفق بناء معين يسعى من خلاله إظهار دلالته موحدة أمام القارئ٠

وسيعرض البحث بشيء من الايجاز لهذه الامور الثلاثة مع بعض الامثلة القرآنية

أولا : أثر السياق في التباين في الايات المتناظرة:-

قبل الحديث عن أثر السياق في إحداث التباين في الآيات المتشابهة ، نرى أنه من المناسب أن نعرض لمفهوم او مصطلح السياق وأهميته وانواعه ٠

السياق لغةً واصطلاحا

في تتبعنا لمعنى السياق في معجمات اللغة ، وجدنا أنهم ذكروه تحت مادة (سوق) ، لأن السياق أصله (سواق) فقلبت الواو ياء لكسر السين [٨٥]

قال ابن فارس : (السين والواو والقاف :أصل واحد ، وهو حذو الشيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقاً وقيل : انساقت وتساوقت الإبل تساوقا :إذا تتابعت ، والمساوقة والمتابعة ، كأن بعضها يسوق بعضا)[٨٦]

وجاء في لسان العرب (ساق إلى أمرآته صداقها و (السياق) مهر المرآة ، قيل له ذلك لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً)[٨٧] ويقال أيضاً ((ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد أي بعضهم على أثر بعض ليست بينهم جارية)) [٨٨] يفهم من هذا أن السياق يدل على التتابع ولحوق شيء لشيء آخر واتصاله به ، وهذه المعاني – كما هو واضح – معاني حسية أصلها من ساق الماشية سوقاً ، لكن بعض المعجمات الحديثة استعملت هذه الكلمة (السياق) في سياق الجملة إذ استعارته من سياق الماشية إلى سياق الكلمات في الجملة ، حيث جاء في المنجد (سياق الكلام : أسلوبه

ومجراه ، يقال : وقعت هذه العبارة في سياق الكلام ، أي مدرجة فيه)[٨٩] هذا فيما يخص السياق لغة امّا اصطلاحا ، فالحق أن مصطلح السياق هو احد المصطلحات اللغوية الشائعة بين الدارسين ، وشيوعها يوهم **بعضهم أن هذا المصطلح أو ذاك واضح ومفهوم ، فإذا ما حاول تحديد المعنى الذي ظن** أنه فهمه ،بدا الأمر عسيرا وغامضا ،ولعل هذه الصعوبة جعلت كثيراً من الذين كتبوا عن السياق يغضون الطرف عن تعريف السياق وينتقلون إلى أهميته في دراسة المعنى و وظائفه وعناصره وغير ذلك من المباحث المتعلقة به ٠ ولعل الصعوبة الواضحة في تجلية المقصود بالسياق بوصفه مصطلحا ،هي محاولة العثور على تعريف للمصطلح من ذلك النوع المانع الجامع كما يقول المناطقة ٠ومع ذلك وعلى قاعدة (ما لا يدرك كله لا يترك جله) عثرنا على تعريف للسياق عند أولمان ، إذ عرّف السياق بأنه ((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم))[٩٠]

وهذا التعريف وإن كان يخص نوعاً واحداً من أنواع السياق ، وهو السياق اللغوي ، إلا أنه يمكن اعتماده تعريفا للسياق ، ومعنى هذا التعريف أن الكلمة تكسب بعدها الدلالي إذا ما ارتبطت مع جارتها ومن خلال ذلك يتكون النظم اللفظي ، إذ يشترك الجميع في إظهار المعنى ٠

أهمية السياق في أنتاج المعنى

تعود أهمية السياق في كونه يحدّد معنى الكلمة في الجملة وليس للكلمة من معنى محدّد خارج السياق ، فالسياق يعتبر الحجر الأساس في علم المعنى يقول ستيفن أولمان ((أن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تعتبر الحجر الأساسي في علم المعنى)) (٩١) إنّ عدداً من المفردات قد لا يتضح معناها في ضوء التفسير المعجمي لها ، لذا ((يظل تحديد معنى الكلام محتاجاً إلى مقاييس وادوات أخرى غير مجرد النظر إلى القاموس)[٩٢] ومن هذه المقاييس والأدوات (السياق)٠

ويذهب عدد غير قليل من الدارسين إلى أن نظرية السياق تعد واحدة من نتائج البحث الدلالي الحديث وينسبونه إلى الغرب[٨٢]وهذا الأمر صحيح بيد أننا نلمس جذور هذه النظرية في مؤلفات القدماء ، أو أن توجيه النص كان الهاجس الأول لدى اللغويين القدماء[٩٣]

ولعل نظرية (النظم) عند الجرجاني (٤٧١ هـ)خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي إذ أكد الجرجاني في هذه النظرية على أهمية المعاني المستوحاة من اللفظ ، فهو يقول : ((ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها بعض))[٩٤]ويقول أيضاً ((اللفظ تبع للمعنى في النظم))[٩٥]

وهذا الطبري (٣١٠ هـ) يعلل بعض اختياراته في التفسير ، فيقول (فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب أتساق الكلام على نظام في المعنى)[٩٦]

ويقول الزركشي : (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له وأن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوزولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً حتى كأنه غير مطروح))[٩٧]

أنواع السياق :

يقسّم اللغويون الدلالة السياقية على قسمين :

١- الدلالة السياقية اللفظية :- ويراد بها نسق الكلام إذ ترتبط الكلمات بعلاقاتها مما قبلها وما بعدها ،ومعنى الكلمة لا يتضح ألا من خلال استعمالها في جمل ،

يقول الدكتور أحمد مختار عمر ((إن المعنى لا يكشف إلا من خلال تنسيق الواحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة))[٩٨]

ويمكن التمثيل للفعل (ضرب) التي تقع في سياقات متنوعة منها

- يقولون – ضرب عمروٌ زيدا – الضرب المعروف

- ضرب لنا معلاّ أي وصف لنا مثلاً

- ضرب في الأرض أي طلب الرزق من خلال السعي

- ضرب فلان لي موعداً : أي عيّن لي وقتاً

- ضرب أخماساً بأسداس – دليل على تحيّره

إلى غير ذلك من المعاني ، ومثل ذلك يقال في كلمة (يد)اذا وقعت في سياقات مختلفة ، فيقولون :

ـ هم (يد)واحدة على عدوهم ، يراد بذلك اجتماعهم

ـ بايعته يدا بيد أي نقدا

ـ حتى يعطوا الجزية عن يد ، أي عن ذلّة وصغار

ـ فلان طويل اليد ، إذا كان سمحا (٩٩)

إن هذه لامثلة وغيرها تدل دلالة واضحة على أن لكل سياق قرينته الحاكمة على المعنى(١٠٠)

٢ـ الدلالة السياقية الحالية :- ويراد بها الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب صدور النص وتحيط به يقول الدكتور محمود السعران ((أن المعنى المعجمي ليس كل شيء في أدراك معنى الكلام فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى))(١٠١)

ونشير هنا إلى أن للدكتور عبد الأمير زاهد تقسيم آخر للسياق فيقول ((والسياق – عندي- متصل ومنفصل فالمتصل : ما سبق الآية وما أعقبها من نص ، والمنفصل :- الآيات التي تناولت المضمون ذاته وإن وردت في موضع آخر فبالجمع بينهما وبين الآية محل البحث تتضح علاقة العام بالخاص ، والمطلق بالمقيد ، والمجمل بالمفصل ٠٠ ولعل هذا هو الأصل في ما أطلق عليه القدماء تفسير القرآن بالقرآن))(١٠٢)

أمثلة لأثر السياق في التباين في الآيات المتشابهة

انتقالاً من التجريد إلى التطبيق ، نقف ونستنطق نماذجاً من كتاب الله العزيز لإثبات ما أسلفناه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ٠

من ذلك قوله تعالى : ((وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)) [المؤمنون /٥٢] وقوله تعالى : ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) [الأنبياء /٩٢]

والفرق بين الآيتين – كما هو واضح – قوله في الآية الأولى (فاتقون)، وفي الآية الثانية – قوله (فإعبدون)، ولابد أن يكون السياق الذي وردت فيه كل آية يقتضي ذلك ٠ فأن الآية الأولى جاءت عقب ذكر عقوبات لأمم كثيرة ممن عصوا الرسل ، وكان ذلك سبباً في هلاكهم نحو قوله تعالى ((فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) [المؤمنون /٤١] وقوله تعالى وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)) [المؤمنون /٤٤] بل أن التهديد والتحذير يستمر حتى بعد هذه الآية وذلك نحو قوله تعالى ((فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ)) [لمؤمنون/٥٤] وقوله تعالى ((حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)) [المؤمنون /٧٧] وغير ذلك فالتحذير والتهديد أكتنف هذه الآية اكتنافا ، بل يمكن القول أن جو السورة العام مشحون بالتحذير والتهديد ٠أما الآية الثانية في سورة الأنبياء فقد جاءت في سياق دال على الأحسان والتفضل واللطف التام كما في قصة أيوب (عليه السلام)ومريم (عليها السلام) ، لذلك ناسب أن يوضع لفظ (فأتقون)في آية المؤمنون لما فيه من التحذير والتخويف المناسب للعقوبات ،ولفظ(فأعبدون)في آية الأنبياء بعد ذكر الإحسان واللطف ، كما يقول أبو حيان ((فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته))(١٠٣)

ولنأخذ مثالاً آخر ، وهو قوله تعالى : ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ))[الأنعام /١٥١] وقوله تعالى ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)) [الإسراء /٣١]فقدم في سورة الأنعام رزق الآباء على الأبناء فقال ،(نحن نرزقكم وإياهم) وقدم في الإسراء رزق الأبناء على الآباء فقال (نحن نرزقهم وإياكم) فما السبب في ذلك ٠ السبب في ذلك هو أنه في آية الانعام ذكر تعالى أنهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم (من إملاق) فهم محتاجون إلى الرزق العاجل لقيام بتكلفة الأبناء ، وأما في آية الإسراء فهم يقتلون أبناءهم خشية الفقر في المستقبل لا أنهم مفتقرون في الحال ولذلك قدم رزق الأبناء على الآباء حتى يخبرهم أن رزقهم معهم وأن أبناءهم لا يشاركونهم في رزقهم[١٠٤] جاء في (البحر المحيط)أن قوله (من إملاق)ظاهره (حصول الإملاق)للوالد لا توقعه

وخشيته فبدأ أولاً بقوله (نحن نرزقكم)خطاباً للآباء وتبشيراً لهم بزوال الإملاق وأحالته الرزق على الخلاق الرزق ثم عطف عليهم الأولاد٠

وأما في آية الإسراء فإن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الاملأق والخشية منه فبدأ فيه بقوله (نحن نرزقهم) أخباراً بتكلفه تعالى (برزقهم فلستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الأديار)[١٠٥]

ثانيا :الفاصلة القرآنية :-

الفاصلة في القرآن هي كلمة تطلق على آخر الآية في كتاب الله تعالى ، قال ابن منظور : ((وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل ،بمنزلة قوافي الشعر ٠٠ واحدتها فاصلة))[١٠٦]

وقال الزركشي : ((هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع))[١٠٧]

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أن تشبيه القدماء للفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع هي محاولة منهم لتوجيه النظر والتأكيد على الجانب الصوتي والملائمة اللفظية في أواخر الآيات ، وأن ذلك جاء لمسايرة طبيعة العرب في الترنم والإنشاد [١٠٨]

ولابراز الجانب الموسيقي في الفواصل ،ومراعاة متطلبات التلاؤم النغمي راعت الايات التقديم والتاخير ،زيادة حرف او حذفه في أواخر بعض الايات ،صرف الممنوع من الصرف وغير ذلك (١٠٩)

ومن أمثلة الايات المتناظرة التي كان للفاصلة القرآنية أثرها في الاختلاف بينها ما جاء في الآيتين الكريمتين ، وهما قوله تعالى((قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)) [طه /٧٠] وقوله تعالى : ((قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ))[الشعراء /٤٧-٤٨]حيث ختم بالألف في الآية الأولى مراعاة لفاصلة الألف في آيات هذه السورة إذ جاءت هذه الآية ضمن عشر آيات اقترن فيها موسى وهارون وكانت الآية الوحيدة التي قدم فيها هارون على موسى ، أما الآية الثانية فقد ختم بهارون مراعاة أيضاً للفاصلة حيث تسيطر النون المسبوقة بمد على سورة الشعراء [١١٠]

ومن ذلك أيضاً ما جاء في سورة القصص ، إذ وردت فيها الآيتان قوله تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [ ))القصص/٧١] قوله تعالى : ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ

غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) [القصص /٧٢] ولنا أن نتساءل : لماذا اختلفت ختام الآيتين ؟ والجواب على ذلك كما يرى الدكتور فضل حسن عباس : ((أن آية الليل قد ختمت بالسمع ، لأن دوام الليل فيه إعمال لحاسة السمع وتعطيل لحاسة البصر،وختمت آية النهار بالبصر لأن دوام النهار وهو ظرف لأعمال الناس وتصرفاتهم يناسبه البصر)) [١١١] وهذا التوجيه يتوافق مع جاء في البرهان عن هاتين الآيتين ٠

إذ يقول الزركشي : ((اقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون) لمناسبة مابين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للأبصار ، أما الآية التي تليها ٠٠ فاقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تبصرون) إذ الظرف مضيء صالح للأبصار ، وهذا من دقيق المناسبة) [١١٢]

ثالثا :البناء الداخلي وأثره في التباين بين الايات المتناظرة

قد يكون البناء الداخلي للسورة القرآنية أثر في التباين ، إذ قد يكون هذا البناء سبباً في أختيار لفظة مكان لفظة أخرى أو سبباً في زيادة في مكان وحذف في آخر ، أو سبباً في تقديم لفظة في آية وتأخرها في أخرى ، وغير ذلك من المظاهر مما مربنا في المبحثين الاول والثاني٠

ونود قبل أن نشرع في ضرب الأمثلة أن نبين أن القرآن الكريم قد راعى في الاختيار أموراً عديدة إذ راعى السياق الذي وردت فيه الآية ، وكذلك السورة التي وردت فيها هذه الآية كما راعى السياقات الأخرى في السورة التي وردت فيها آيات مقارنة لهذه الآية ((وكل ذلك يدل على أن كل كلمة قبل كل حرف قد وضع وضعاً فنياً مقصوداً في غاية الدقة والجمال))[١١٣]

ولنوضح ذلك بالأمثلة ، قال تعالى ((وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ [الحج/٥]

وقال تعالى ((مِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [فصلت/٣٩]

عند النظر والتأمل في الآيتين الكريمتين نجد أنه تعالى قد استعمل لفظة (هامدة)في آية الحج ، ولكنه في آية فصلت قد استعاض عنها بلفظة (خاشعة) والظاهر أن داعي التغاير اللفظي في الآيتين يعود إلى السياق الداخلي للسورة التي وردت فيها كل آية٠

فسياق آية الحج ، يشير إلى مراحل حياة الإنسان ، إذ سبق آية الحج قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً [ ))الحج/٥] فكأن الآية عرض لمراحل حياة الإنسان ، وفيها بيان من الله تعالى إلى الإنسان بأن الذي أقتدر على هذا قادر على أن يعيدك ويبعثك من جديد ، والذي يسند ذلك الآية التي بعدها ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [الحج /٦]فلما كان السياق دالاً على قدرته على الأحياء والأمانة ثم قدرته على تحقيق (البعث والنشور) جاءت لفظة (هامدة) توافقاً مع هذا السياق ، لأن لفظة(هامدة) تعني هالكة ميتة يابسة لا زرع فيها البتة[١١٤]

أمّا آية سورة فصلت فقد آثر القرآن استعمال لفظة (خاشعة)لوصف حال الأرض على لفظة هامدة ،ويرجع ذلك أيضا إلى مقتضى البناء الداخلي للسورة نفسها، فإذا ماعدنا نقرأ الآيتين السابقين لآية فصلت وهما قوله تعالى ((وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير))[فصلت ٣٧-٣٩] فنجد أن دلالتهما تقوم على فكرة عرض مقدرته في خلق الشمس والقمر فهما آيتان من آيات وحدانيته ثم ربط ذلك بفكرة البعث والمعاد فالحديث في هذا الموضع يدور أصلا على فكرة التوحيد وليس البعث فكان مجيء لفظة (خاشعة)لوصف الأرض مناسب لهذا السياق لأن الخشوع من لوازم العبادة ومقوماتها (١١٥)

وبهذا نجد أن الدلالة السياقية لها شأن في تحديد حيثية البناء الداخلي للنص بما يتفق مع متطلبات هذه الدلالة ،ولهذا يثبت في موطن ويرفع في آخر ، ويقدم في آية ويؤخر في أخرى ،ويؤثر صيغه في آية على صيغه أخرى في آية مقاربة لها ٠فيقع التباين في الدلالة بين النصين المتناظرين ٠ إن مراعاة البناء الداخلي للسور القرآنية لا يقف فقط عند الآيات المتناظرة ،بل إن السورة كلها بناء واحد ، وأن منفتح السورة له علاقة بخاتمتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ٠ (١١٦)

فمثلاً سورة الأعراف ابتدات بـ((كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)) [الأعراف / ٢]،واختتمت بقوله ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)) [الأعراف / ٢٠٤] فقد أبتدأت السورة بذكر الكتاب وختمت به أيضاً ومن ذلك أيضاً ما جاء في سورة (ص)، إذ جاء القسم بالقرآن في بدء السورة وختمها بالكلام على القرآن أيضاً ولا نريد أن نطيل في ذكر الأمثلة لأن ذلك ليس شيئاً عارضاً وترتيب الآيات ليس عشوائياً ، وإنما هو أمر مقصود في هذا الكلام الرفيع فهو بناء محكم قال تعالى ((كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)) هود /١] (١١٧)

الخاتمة

توصّل البحث إلى عدد من النتائج كان لابد من ذكرها ، وهي على النحو الأتي :-

١-يعد التباين الدلالي نمطاً أسلوبياً راقياً في التعبير ويمثل الجانب الإبداعي في الأداء ويهدف إلى خلق ألوان متنوعة من التعبير في الشكل والمضمون ٠

٢- أكّد البحث على أن التنوع اللفظي في الايات المتشابهة هو إثراء للمعنى وتوسيع له فيها

٣ - يهدف التباين في القرآن الكريم إلى تحقيق موضوعات دينية وشرعية وأصولية وفكرية خاصة به إلى جانب تأدية الجمال الشكلي عن طريق التنوع اللغوي

٤ ـ أكدالبحث إلى أن أسلوب القرآن متجانس ومنسجم بعضه بعض وكأنه صورة واحدة او جسد واحد في البناء والتركيب والمعنى ٠

٥- أكّد البحث إلى أن أي لفظة في التعبير القرآني قد وضعت بحيثية هندسية دقيقة في موضعها الذي يجب أن تكون فيه ، وأن أي تعاور للألفاظ في الايات المتناظرة إنما ورد لإثبات دلالة معينة خاصة يتطلبها النص ٠

٦- أشار البحث إلى أن التباين في الايات المتناظرة جاء على مستوى المفردة وجاء على مستوى التركيب أيضاً

٧- أشار البحث إلى أن السياق ، والفاصلة والبناء الداخلي للسورة ، كان من أهم أسباب و دواعي التباين في الآيات المتناظرة ٠

٨- أشار البحث إلى أن القرآن الكريم قد راعى في فواصل الآيات التعبير والمعنى ولم يكن لأجل الانسجام الموسيقى وحده ٠

وفي الختام نقول متأسين بقول ابن قتيبة في خاتمة كتابه (تأويل مشكل القرآن): ((فأمّا سائر ما تكلّمنا به فإنّا أحقّاء بأن لا نزكيه وأن لا نؤكّد الثقة به ، وكلّ من عثر منه على حرف يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه ٠ فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرغب إليه في دركه إنّه جواد وهوب)) ٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش البحث

(١)معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، ١/ ٣٢٣

(٢)لسان العرب ابن منظور ، ٦٤/٣ مادة (بين) وينظر الصحاح ٢٠٨٢/٥ ، ٢٠٨٣

(٣) المعجم الوسيط ، ١١٧/١

(٤) التعريفات ، الجرجاني ، ١٥٧

(٥) ينظر منتدى محبي الرياضيات ، محاضرة للاستاذ محمد الباجي بعنوان التباين للصف الثاني الاعدادي والمحاضرة منشورة على شبكة النت

(٦) التباين الثقافي وأثره في آيدلوجيات التفكير المختلفة آمنة الحربي ، بحث منشور على صفحة الجزيرة الرئيسة، الجزيرة للصحافة والنشر على شبكة النت العدد ١٣٦٠٩ الجمعة ١٥ محرم ١٤٣١ ه

(٧)ينظر : التباين اللوني وأثره في إظهار الحركة في الفن البصري ، د٠ عباس جاسم الربيعي

(٨) الفروق اللغوية في اللغة العربية ، د٠علي كاظم المشري ، أطروحة دكتوراه ، ص٥

(٩) معجم مقاييس اللغة ، ٢/ ٢٥٩ ، (دل)

(١٠) الصحاح ٤/ ١٦٥٩ (دلل)

(١١) لسان العرب ١/ ٣٩٩ (دلل)

(١٢) كشاف اصطلاحات الفنون ،التهانوي ١/ ٧٨٧

(١٣)بيان المختصر ، شرح مختصر ابن الحاجب ، عبد الرحمن الاصفهاني ١٢٠/١

(١٤) ينظر: مقاله قصيرة جداً منشورة على شبكة الانترنيت بعنوان الفروق اللغوية بين بعض الالفاظ المتشابه من خلال القرآن الكريم د٠ حسناء عبد العزيز القنيعر ، وفي عنوان المقالة (من خلال القرآن الكريم) والأفضل أن تكون (في القرآن الكريم) أي من دون كلمة (خلال)

(١٥) ينظر: الترادف في اللغة ، د٠ حاكم الزيادي ، ٢٢٢

(١٦) ينظر: لغة القران دراسة توثيقية فنية ، احمد مختار عمر ، ١٥٣

(١٧) ينظر مفردات الفاظ القران ، الراغب الاصفهاني ، ص ٢٧

(١٨)دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، محمد ياس خضر الدوري ، أطروحة دكتوراه ص ١٥٧

(١٩) المصدر نفسه ، ١٥٩ ، ١٦١، ١٦٢

(٢٠) البحر المحيط ابو حيان الاندلسي ، ٢٣٠\٦

(٢١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ،٩٧ ـ٩٨

(٢٢)تفسير مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير ، الرازي ،٣ /١٤٢

(٢٣)ينظر البرهان في علوم القران ، الزركشي .١٢٣

(٢٤)ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني .٥٤

(٢٥)ينظر:ملاك التأويل، ابن الزبير،ص ٦٢\١-٦٣

(٢٦)روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ،الالوسي ،٢٦٧\١

(٢٧)التعبير القرآني ،فاضل السامرائي ،٢٩٤

(٢٨) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د٠فاضل السامرائي ،٣٩

(٢٩) المصدر السابق ،٨٤-٨٦

(٣٠) معاني النحو : فاضل السامرائي ،٢٣/١

(٣١) دلائل الأعجاز ص ١٢٢

(٣٢) تفسير مفاتيح الغيب ، الرازي ١٥٦/١٤

(٣٣)ينظر : المصدر نفسه ١٠٣\٣

(٣٤) معاني النحو ١١٨/١-١١٩

(٣٥) شرح ابن عقيل ٤٧٧/١

(٣٦) ينظر دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل/د٠محمد فاضل السامرائي،١٤٠

(٣٧) ينظر:البيان في غريب إعراب القران،ابوالبركات بن الانباري،٢٠/٢

(٣٨) من أسرار البيان القرآني ، فاضل السامرائي ،١٥٨ ـ١٦١

(٣٩)الكتاب ، سيبويه ١٥/١

(٤٠) اسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د٠محمودالسيدشيخون ،ص٥-٦

(٤١) الخصائص ، ابن جني ،٢٩٥/١-٢٩٧

(٤٢) دلائل الاعجاز ، ١٠

(٤٣) شرح الرضي على الكافية ٨٨/١

(٤٤) شرح ابن عقيل ٤٨٤/١

(٤٥)دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل ،١٣٧

(٤٦)ينظر: ملاك التأويل ٨٩٣/٢

(٤٧)ينظر المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

(٤٨) دلائل الاعجاز، ١٣١

(٤٩) الكتاب ١٥/ ١

(٥٠) معاني النحو ١٠٥/٣

(٥١)ملاك التأويل ٧٥٧/٢ وينظر : دراسةالمتشابه اللفظي من آي التنزيل ،١٧٨

(٥٢)درة التنزيل وغرّة التاويل ، الخطيب الاسكافي ٣٩-٣٩١

(٥٣)معاني النحو ، فاضل السامرائي ١٠٤/٣

(٥٤)ينظر: البرهان في علوم القران ، الزركشي ٦٧/٤

(٥٥) ينظر على سبيل المثال ، البقرة /٢٨٤ ،ا

(٥٦) روح المعاني ،ألالوسي ١٣٥/٦

(٥٧)تفسير البحر المحيط ، أبو حيان ٤٩٦/٢، وينظر : ترتيب المعطوفات في القرأن الكريم والحكمة فيه ، بحث للدكتور صاحب ابو جناح ، مجلة (ن والقلم) العدد ١٥ ص ١٢٩

(٥٨)ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين ،د٠ قيس الأوسي ،٢٥

(٥٩) ينظر :الكتاب ٨/١ ، ١١١، ٢٧٩ ،١٤٤/٢

(٦٠) ينظر : معاني القرآن ، الفراء ،١٣/١ ،١٠٤\١، ٦٧\٢

(٦١)ينظر : الخصائص ، ابن جني ، ٣٦٠/٢

(٦٢)دلائل الأعجاز ،الجرجاني ،١٣١ ، والحذف البلاغي في القرآن : مصطفى أبو شادي ، ص٩-١٤

(٦٣)ينظر : الكشاف ١٠٩/١

(٦٤)تفسير مفاتيح الغيب الرازي ١٧٣/٢١،وينظر تفسير روح المعاني ٤١/١٦

(٦٥)بلاغة الكلمة في التعبير القراني ،١٢

(٦٦)درة التنزيل وغرّة التاويل ،٢٣

(٦٧)ينظر: تفسيرمفاتيح الغيب الرازي ٩٣/٣

(٦٨) ينظر : ملاك التأويل ٢٤٨/١

(٦٩) التعبير القرآني ، ١١٧

(٧٠)ينظر : أسرار التكرار في القرآن الكريم ،الكرماني ،١٠٦/٢

(٧١)ينظر: المصدر نفسه الصفحة نفسها

(٧٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن المعروف بتفسيرالطبري ١٠ /١٢٠ ـ١٢١

(٧٣)ينظر الفروق اللغوية والدلالية بين الفاظ القرآن الكريم ، د .عدوية عبد الجبار الشرع ، بحث منشور في مجلة نون والقلم العدد (٢١)، ص (٩٤)

(٧٤)ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ٤٣٩

(٧٥) (١)ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير /١٢٨/٢،ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، ٣٣٨/٢

(٧٦)المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ٣٣٨/٢

(٧٧)البرهان في علوم القرآن ، ٩/٣

(٧٨)معاني القرآن ، الفراء ، ٢٧٨/٣ ،

(٧٩) ينظر ملاك التأويل ٩٣٣/٢-٩٣٤

(٨٠) ينظر :لمسات بيانية ، فاضل السامرائي ،٢٣٠

(٨١) ملاك التأويل ١ / ٢٤٨

(٨٢) أسرر التكرار في القرآن الكريم ، الكرماني ،٢ /١٠٦

(٨٣) البرهان في علوم القرآن ،٩٨/٤

(٨٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها و دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل ، ٢٦٠

(٨٥)ينظر : لسان العرب – ٤٣٥/٦

(٨٦) معجم مقاييس اللغة ١١٧/٣

(٨٧) لسان العرب ٤٣٦/٦ مادة (سوق)

(٨٨) القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ،٨٢٥

(٨٩) المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، ٣٦٥

(٩٠) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ،٥٤-٥٥

(٩١) المصدر نفسه ، ٥٩

(٩٢)علم اللغة ، د ٠ محمود السعران ،٢٩٠

(٩٣)ينظر: علم الدلالة ٠أحمد مختار عمر ،٦٢ ،تطور البحث الدلالي ، محمد حسين الصغير،١٦

(٩٤)علم الدلالة العرب ، فايز الداية ،٣٢

(٩٥)دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني ،٤٠

(٩٦) جامع البيان في تفسير آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ،٣١٦/٣

(٩٧)البرهان في علوم القرآن ٢٠١/٢

(٩٨)علم الدلالة ،أحمد مختار عمر ،٦٧

(٩٩)المصدر نفسه ، ٦٨

(١٠٠) ينظر : انتاج الدلالة القرآنية في ضوء سلطة السياق ، السيد مرتضى جمال الدين ، بحث منشور في مجلة الصباح ،١٤٤

(١٠١)علم اللغة ،د٠محمود السعران ،٢٩١

(١٠٢)مقومات منهجية في تحليل النص القرآني ، د. عبد الامير زاهد، بحث منشور في مجلة السدير ، العدد٩ ،ص ٥٤

(١٠٣) البحر المحيط ، ٤٠٦/٦ ، وينظر ملأك التأويل ٤٠٨/٢ والتعبير القرآني ،فاضل السامرائي، ٢٤٢

(١٠٤) ينظر: لمسات بيانية ، فاضل السامرائي ،٦٧

(١٠٥) البحر المحيط ٢٥١/٤

(١٠٦) لسان العرب ، ابن منظور مادة (فصل)

(١٠٧) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٥٣/١

(١٠٨) ينظر : لغة القرآن ، أحمد مختار عمر ،١٣٢

١٠٩) ينظر تفصيل ذلك في (الفاصلة في القرآن ،د٠ محمد الحسناوي،ص ٥٤ ،والمناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، محمد يوسف هاشم ، رسالة ماجستير ،٦٥ ،التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ،١٩

(١١٠) ينظر التعبير القرآني ،١٩٦

(١١١) ينظر : قصص قرآنية ، د.فضل عباس ، ٨٨

(١١٢) البرهان في علوم القرآن ٨٣/١

(١١٣) التعبير القرآني ،٢٢٤

(١١٤)ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ،٢٩١/٧ ،والكشاف ٧٦٩/١

(١١٥) ينظر دواعي التباين الدلالي للنصوص المتناظرة د٠ سيروان عبد الزهرة، بحث منشور ،٦٤

(١١٦) ينظر : التعبير القرآني ، ٢٧٧ - ٢٧٨

(١١٧) المصدر نفسه ، ٢٢٦

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د٠ محمود السيد شيخون ، دار الهداية ،مصر ،ط١ ، ١٩٨٣

- أسرارالتكرارفي القرآن ، محمد بن حمزة الكرماني تح عبد القادرأحمد عطا، دارالفضيلة (د . ت)

ـ أساليب الطلب عند النحوين والبلاغين د٠ قيس إسماعيل الاوسي مطبعة دار الكتب جامعة الموصل ـ ط٢ ، د ١٩٨

- - البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ،لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر(د٠ت)

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د٠ فاضل السامرائي ، دار عمار الاردن ـط ،١٩٩٩

ـ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني ، تح محمد مظهر بقا ، الناشر جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٦ ـ ١٩٩٨ م

- البيان في غريب القرآن ، أبو البركات بن الانباري تح ، د٠ طه عبد المجيد طه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨ م

ـ تاج اللغة وصحاح العربية ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح السيد أحمد عبد الغفور العطار ١٩٥٦ مصر دار الحديث القاهرة

- التبيان في تفسير القرآن ، شيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تصحيح / أحمد حبيب العاملي الناشر دار احياء التراث العربي

- الترادف في اللغة د٠ حاكم مالك لعيبي دار ٠٠ ودار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٠

- التعبير القرآني د٠ فاضل السامرائي ، الاردن دار عمار ، ط ، ١٩٨٨

- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ هـ) القاهرة المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ

- تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي ، الرياض ، مكتبة ومطابع النصرالحديثة

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله ،دار الكتاب العربي بيروت ط٣ ١٤٠٧ هـ

- تفسير مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير الرازي ،ط ٢ طهران مطبعة الكتب العلمية (د٠ ت)

- تهذيب اللغة لابن منصور الأزهري(٣٧٠ هـ) تح يعقوب عبد النبي ، مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٧

- - جامع البيان في تأويل أي القرآن ، الطبرسي (٣١٠هـ) ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر

- ـ جمهرة اللغة لابن دريد الازدي (٣٢١هـ)بيروت دار الصادر للعلماء (د٠ت)

- الحذف البلاغي في القرآن – مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع القاهره

- الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني تح ، علي النجار ، ط٢ ، القاهرة مطبعة دار الكتب ١٩٥٤

- دراسات في علم اللغة ، سليمان فتح الله أحمد الناشر الأفاق العربية ٢٠٠٨

- دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب التأويل /فاضل السامرائي دار عمار للطباعة الاردن ، ط٣ ٢٠١١

- درّة التنزيل وغرّة التأويل ، ابو عبدالله الاصفهاني المعروف بـ (الخطيب الاسكافي) تح محمد مصطفى ايدين ، مكة الكرمة ، جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

- دلائل الأعجاز في علم المعاني \عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ تح محمود محمد شاكر مفيد المدني القاهرة ١٩٨٤

ـ دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ،تح، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر ط١٢ ١٩٩٧

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبو الفضل شهاب الدين الالوسي البغدادي ،بيروت دار الفكر ،١٩٧٨

ـ شرح ابن عقيل جمال الدين عبد الله ابن عقيل تح ، محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة

- شرح الكافية في النحو ،رضي الدين، الاستراباذي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٤

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ،١٩٩٨ مصر ، الاسكندرية

– علم الدلالة العربي ، د٠فايزالداية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٧٣

- علم اللغة ،د٠ محمود السعران دار الفكر العربي ط٢ القاهرة ١٩٩٧

– الفاصلة في القرآن ،محمد الحسناوي – دار عمارعمان الاردن ،ط٢ ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م

ـ الفروق اللغوية ،الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد أبو الهلال العسكري ،تح محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع

ـ الفروق اللغوية في العربية ، د٠ علي كاظم المشري دار الصفاء للنشر والتوزيع ،ط١ ٢٠١١م

- فقه اللغة ،علي عبد الواحد وافى ،ط٦ ، نهضة مصرللطباعة والنشر مصر ٢٠٠٨

ـ قصص قرآنية ،أ.د فضل حسن عباس ،دار النفائس ،عمان ،ط٣ ١٤٣٣ هـ ٢٠١٠ م

– الكتاب لسيبويه ، أبو بشير عمر بن عثمان قنبر(١٨٠ هـ) تح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي للطباعةوالنشر مصر ١٩٨٨

– كشاف اصطلاحات الفنون التهانوي ، تح د٠لطفي عبد البديع راجعه أمين الخولي المؤسسة الولاية للتأليف والنشر والطباعة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٣

ـ لسان العرب،ابن منظور جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١ هـ) الدار المعرفة ، للتأليف والترجمة طبعة مصورة مطبعة بولاق المؤسسة المصرية للتأليف والنشر

ـ لغة القرآن دراسة توثيقية فنية ،احمد مختار عمر مؤسسة ط ٢الكويت ١٩٧٩م

ـ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل \ د٠ فاضل السامرائي دار عمار –الأردن ط١ ١٩٩٩،

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير (٦٣٧هـ) تحمحمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٧٣

ـ معاني القرآن للفراء / أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ، دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر تح ، أحمد يوسف النجاتي

ـ معاني النحو، د٠ فاضل السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، جامعة الموصل

ـ معجم مقايس اللغة لابن الحسين احمد بن زكريا (٣٩٥ هـ) تح عبد السلام هارون دار الفكر للطباعة و النشر د٠ت

ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٦

ـ المعجم الوسيط \معجم اللغة العربي /إشرف على طبعته عبدالسلام هارون بيروت لبنان دار أحياء التراث العربي (د٠ت)

ـ مفردات الفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني تح ، صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق

ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ، أحمد بن إبرهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر تح ،عبد الغني محمد علي الفاسي الناشر دار الكتب العلمية بيروت

ـ من أسرار البيان القرآني ، فاضل السامرائي دار الفكر(د٠ت)ط ١ ١٩٩٩

ـ المنجد في اللغة ، لويس معلوف الناشر دار المشرق بيروت طـ ٥ ١٩٨٦

ـ الرسائل والاطاريح الجامعية ـ

ـ دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني أطروحة دكتوراه ، محمد ياس خضر الدوري ، كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م

ـ المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ – محمد يوسف هاشم السيد ، الجامعة الاسلامية ،غزه ، ٢٠٠٩ (رسالة ماجستير)

ـ الدوريات و المجلات ـ

ـ إنتاج الدلالة القرآنية في ضوء سلطة السياق ، السيد مرتضى جمال الدين ، بحث منشور في مجلة (المصباح) ، للدراسات والابحاث القرآنية ، العدد (١١)١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢ م

ـ التباين اللوني دائرة في إظهار الحركة في الفن البصري ،د٠ عباس جاسم الربيعي ، جامعة بابل ، بحث منشور على موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية

ـ ترتيب المعطوفات في القرآن الكريم والحكمة فيه ، أ . د صاحب ابو جناح ، بحث منشور في مجلة (ن والقلم) العدد ١٥

ـ الفروق اللغوية والدلالية بين ألفاظ القرآن الكريم ، د٠عدوية عبد الجبار الشرع ، جامعة بابل ٢٠١١ ،بحث منشور في مجلة نون والقلم العدد (٢١)

ـ دواعي التباين الدلالي للنصوص المتناظرة ، د٠ سيروان عبد الزهرة ، بحث منشور في مجلة نون والقلم

ـ مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني ، د. عبد الامير زاهد مجلة السدر ، العدد(٩)

ـ مقالة قصيرة جداً منشورة على شبكة الأنترنيت بعنوان الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم د٠ حسناء عبد العزيز القنيعر